

غير ان تطور العلاقة الاردنية - الفلسطينية اصطدم بصعوبتين هامتين: الاولى، هي ظهور أطر جبهوية منافسة على الساحة الفلسطينية، بشكل جبهة الانقاذ الوطني والتحالف الديمقراطي؛ والثانية هي تعثر المساعي الدبلوماسية العربية ازاء التصلب والنفق الاميركيين، ونتيجة التجزؤ والوهن المتزايدين للموقف العربي. وينتهي سحلية، في فصله الثامن والختامي، الى طرح مجموعة استنتاجات وتوقعات حول المستقبل المحتمل لمنظمة التحرير الفلسطينية. واذا تركنا جانباً أفكاره حول احتمال ظهور م.ت.ف. «اسلامية» او استمرار الوفاق الاردني - الفلسطيني، نجد ان محصلة ملاحظاته حول تطورات الساحة الفلسطينية، منذ العام ١٩٨٢، تلقي الاضواء الساطعة على طبيعة علاقاتها الداخلية.

يتضح، مثلاً، ان وقتاً وجهداً ضخماً قد ذهباً هدراً عبر السنين في خوض الصراعات الداخلية، حتى ليستخلص القارئ ان «الرافضين» طالما تجاهلوا امرين اثنين: ١ - ان الكثير من المقترحات والمشاريع «السلمية» الخارجية كان فارغ المضمون، مما يعني ان البعض فقد الوقت الثمين بمصارعة هذه المقترحات والمشاريع ورفضها واتهام الغير بقبولها. ويعني ذلك، بدوره، ان الرافضين هؤلاء افتقروا الى البصيرة السياسية وسمحوا للاعداء بتضليلهم ويعثرة جهودهم باتفه الوسائل: ٢ - انه كان في امكان «الرافضين» ان يقفوا جانباً كي يثبت زيف المشاريع السلمية، وكي يتحمل غيرهم، وخصوصاً اسرائيل، مسؤولية افشالها تجاه العالم. لكنهم تجاهلوا اهمية اكتساب الحلفاء والرأي العام، وذلك علماً بأنهم لم يفعلوا شيئاً منتظماً ومستمرّاً لتنفيذ شعار البديل المنادي بالكفاح المسلح. اي ان الرافضين رفضوا المظاهر وليس الاسس.

يفسر هذا الكتاب، ايضاً، الكثير حول سياسة قيادة م.ت.ف. ودوافعها؛ فطلما اعترض الغربيون على عدم استعداد عرفات «حسم اموره» وعلى «تردده وتأرجحه»؛ لكن ماذا كان في مقدور م.ت.ف. ان تفعل وسط ذلك الخضم المعقد؟ ماذا تفعل ازاء قيادة سورية تؤكد ان القضية الفلسطينية ليست مسألة مستقلة، بل تخضع، ايضاً، لرغباتها هي؟ بل وماذا يفعل الفلسطينيون عندما تبدأ الدول العربية بالتحرك نحو تقويض شرعية م.ت.ف. و «تعريب» القضية الفلسطينية، في وقت لا يهدف هذا التحرك الى تحمل المسؤوليات؟ وماذا يفعل الفلسطينيون، اذا صحت ملاحظات سحلية حول اختلاف ظروف الحرب الغوارية في جنوب لبنان والصفة الغربية، مما يقلل فرص تكرار التجربة اللبنانية في فلسطين، فان الخيار العسكري يبدو صعباً ومعقداً، لكن ليس مستحيلاً؟

لا يجيب المؤلف سوى بالتشديد على ضرورة قرع الابواب السياسية والدبلوماسية كافة؛ لكنه يترك في ذهن القارئ المفارقة التالية: لقد استفادت م.ت.ف. كثيراً من بناء قاعدة رئيسة كأساس للاستقلالية السياسية والتنظيمية، لكن اتاح امتلاكها لتلك القاعدة، ايضاً، للاعداء ان يضربوها ويلهوها وان يستنزفوها بالسيارات الملوغمة والاشتباكات الجانبية، وخصوصاً بعد اندلاع حرب الخليج وتآكل الموقف العربي.

يزيد خلف